MERS
MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 16-3-95
Photo No. : 131

١٤ آذار... وبعده ٢١ آذار

والآن ماذا؟ ما الذي يبقى من ١٤ آذار؟

المقصود طبعاً ليس ١٤ آذار من سنة ١٩٧٨، وانما ١٤ آذار من سنة ١٩٩٥. قد يكون من المبكر تقويم ما تحقق امس الاول. لكن للسؤال ما يبرره بعد ان عادت عجلة الحياة العامة الى طبيعتها امس صباحا، وفي بعض المناطق مساء الثلثاء (اذ انتهى "يوم التضامن" قرابة السابعة والنصف وحل مكانه مساء عطلة شبه عادي).

يبقى بالتأكيد المشهد، مشهد لبنان يتضامن مع نفسه، كما اوحى الشعار الرسمي، بل يكتشف نفسه. كان يمكن ان يكون المشهد مؤثرا، وربما كان كذلك في بعض اللحظات، لو لم يغلب عليه طابع التصنع السياسي والتكلف الاعلامي. أتراهم يعتقدون ان الدعاية تصنع الامم؟ هذا ما راهن عليه الكثير من قادة العالم الثالث الذين اقتنعوا ان بناء الدولة (او الحزب) يعوض عن غياب الوعي الوطني فينتهي الى انتاج الأمة. كان لهؤلاء سذاجة البدايات، لكنهم على الاقل سعوا الى بناء دولهم. اما عندنا فلا اعذار لأن كل من يعمل في السياسة يفقد بالضرورة سذاجته. هذا فضلا عن اننا نستعيض عن بناء الدولة بصناعة صورة الدولة وابهتها بمزيج غريب من دعاية الحزب الواحد الثقيلة ودعاية المنتوجات الاستهلاكية اللماعة.

ولكن، قد يقول قائل: ليس مستحيلا ان تعطي احتفالات ١٤ آذار نتيجة، ان لم تكن في جعل التضامن حقيقيا، فعلى الاقل من زاوية اكتشاف اللبنانيين بعضهم بعضا. ربما. سنرى ذلك في ١٤ آذار ١٩٩٦، هذا بالطبع ان لم يؤد دوي التضامن الذي شهدنا الى ارهاب الولايات المتحدة واسرائيل واجبارهما على تنفيذ القرار ٤٢٥ مكرهين.

وفي ما عدا ذلك، ماذا؟ ستبقى بطبيعة الحال الرسالة، او بالاحرى الرسائل التي اراد اطراف الحكم ايصالها (او تبادلها). ولا بد هنا من التساؤل، وان يكن في الامر ما يعادل المعصية، عما كان يراد حقيقة من "يوم التضامن".

ويترافق هذا التساؤل مع سؤال آخر: لماذا الاحتفال بالذكرى السابعة عشرة لاجتياح ١٩٧٨؟ ولماذا لم نحتفل بالذكرى الخامسة عشرة، قبل عامين، او بالذكرى السادسة عشرة العام الماضي، مع العلم ان "ترويكا الحكم" صاحبة الدعوة هي هي منذ خريف ١٩٩٢؟ لا جواب واضحا عن هذا السؤال، وانما استنتاج منطقي: ان قرار الاحتفال مرتبط بظروف الساعة وبحسابات راهنة.

وعليه، يصبح التساؤل لازما عما يوجب الاحتفال في ظروف الساعة.

هنا ايضا لا مكان للسذاجة: ليس مسار المفاوضات اللبنانية – الاسرائيلية هو الذي يتطلب اقامة "يوم التضامن" مع الجنوب. فقد صار جليا ان الحكم اللبناني نفسه الذي يتغنى بالقرار ٤٢٥ ليل نهار يفاوض على اساس القرار ٢٤٢ من خلال تسليمه زمام عملية التسوية الى سوريا. في المقابل، قد تكون الحاجة الى "يوم التضامن" متصلة بمسار المفاوضات السورية – الاسرائيلية، كونها تمهد الطريق امام حل احدى معضلات هذا الملف، اي الترتيبات الامنية المطلوبة من سوريا في جنوب لبنان، بما تتطلب من انهاء لهيمنة "حزب الله" فيه.

من هذا المنظار، نجح "يوم التضامن". فقد اعاد تطويب الجنوب باسم الاستاذ نبيه بري بصفتيه: رئيس حركة "امل" التي ينازعها "حزب الله" في الوسط الشيعي، واحد اركان الدولة. هذا بالاضافة الى تلميع صورة الجيش وقائده.

عند هذا الحد من التحليل، تزول آخر بقايا السذاجة، فنتذكر ان ١٤ آذار يسبق بأسبوع واحد ٢١ آذار، تاريخ افتتاح العقد العادي لمجلس النواب.

سمير قصير

***

ملاحظة: سرّني ان يخصني السيد توفيق شومان بمقال مطول ("النهار" عدد امس) ردا على تعليقي الاسبوعي في تاريخ ١٦ شباط ١٩٩٥ حول "المقاومتين". اقول سرّني لان غياب النقاش بات السمة المؤسفة لهذه المرحلة. الا ان الرد على المقال لا يكفي في ذاته ليفتح نقاشا. على العكس من ذلك، بدا لي من مقال شومان بأن اولويات النقاش المثمر ما زالت غير متوافرة بين "النقدانوية" التي ينسبها اليّ والكتابة الجهادية، حتى لو سعى كاتبها الى عقلنتها قدر الامكان. لذلك لن ادخل في محاججة مفصلة مع شومان، لا حول ظروف المقاومة "الاولى" ولا حول حصة الاسلاميين فيها، ولا حول ظروف المقاومة "الثانية".

جل ما اريد قوله في هذا المجال هو ملاحظة بسيطة تشاء الصدف ان يكون اقتطعها مقص الرقيب من حديثي في برنامج "عَ صوت عالي" (تلفزيون لبنان، الثلثاء ١٤ آذار): "لا يمكن الاستعاضة عن وهم القرار ٤٢٥ بوهم المقاومة. بين ١٩٨٢ و١٩٨٥، ادت المقاومة الى خروج اسرائيل من مدن الجنوب الرئيسية. الا ان المقاومة، وهي مقاومة اخرى، امضت عشر سنوات منذ ذلك الوقت من دون ان تعمل شيئا من هذا القبيل".

س.ق.